ظاهرة الحزن واليأس وتجسيد الواقع بين بروين اعتصامي ونازك الملائكة

« ادب مقارن »

د. عمران سلمان موسى، كلية التربية، جامعة كربلاء

الخلاصة:

الشاعرتان من الشواعر المعاصرات المشهورات، الأولى عاشت في ايران والثانية عاشت في العراق، وكان لكلتي الشاعرتين دور أساسي في التجديد ودافعتا دفاعا كبيرا عن حقوق المجتمع عامة وحقوق المرأة وحريتها خاصة، أصاب الشاعرتين الحزن واليأس بعد الإخفاقات التي أصابت المجتمع الايراني والعراقي جراء الكوارث والمصائب التي جلبتها الحربان العالميتان الأولى والثانية وما نتج عنها من حالة الحرمان والظلم وسريان المفاسد في مفاصل الدولتين، فاتخذت كل منهما وعلى انفراد وكأنما تكتبان عن حالة واحدة من الشعر وسيلة للتعبير عن حالة الحزن واليأس التي تعانيان منهما، وفي الوقت نفسه

تعبير عن حالة مجتمعيهما، كما أنها تعتبر دعوة لتحريك مشاعر وأحاسيس الشعبين، والثورة على الواقع المأساوي وقد لعبتا دورا واضحا في هذا الجانب، ومن هنا يمكن القول بان نتاجيهما كان مدرستين منفردتين للأجيال التي اعقبتهما ونقطتي تحول في مسار حياة هذين الشعبين نحو شواطئ الدفء والأمان وتحقيق ما يصبوان إليه.

المقدمة :ـ

بعد الثورة الصناعية التي حدثت في اوربا (القرن السابع عشر ميلادي) وبعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م وتدمير سجن الباستيل، ظهرت الافكار القومية والوطنية في عدد من بلدان العالم، وعلى اثر ذلك أصبحت القضايا الاجتماعية الهدف الاساسي لأغلب الشعراء والمثقفين وخاصة في البلدان النامية، وبلغ ذلك اوج عظمته بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ والثانية ١٩٣٩ م.

جراء ذلك حل الدمار في الشعوب مما حدا بالشعراء أن ينهضوا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم تجاه شعوبهم، ومن بين أولئك الشاعرة بروين اعتصامي والشاعرة نازك الملائكة، حاولتا كلتا الشاعرتين ان تقوما باصلاح الواقع الاجتماعي عن طريق تسخير الفكر والعلم، وكان لذلك الاثر الكبير في الانفس ومقارعة المستعمر والآفات الاجتماعية، ومن هنا يمكن القول ان كلا الشاعرتين لعبتا دوراً متمايزاً في الواقع الاجتماعي.

خلاصة عن حياة الشاعرة بروين اعتصامي

ممالاشك فيه ان بروين من الشواعر المشهورات المرموقات وتشهد لها الساحة الادبية والاجتماعية.

ولدت الشاعرة المذكورة في عام ١٣٢٨ .ه.ق، ١٩١٠ م، في مدينة تبريز، والد الشاعرة يوسف خان اعتصام الملك المتوفى ١٩٣٧ م من الادباء المشهورين في عصره، له اطلاع واسع في اللغة العربية واللغة الفرنسية كان لابيها الاثر الكبيرفي تعليمها، تخرجت من المدرسة الامريكية للبنات في طهران، ولها المعرفة التامة بالادب الانكليزي [١] تقرأ وتترجم من العربية، (مقدمة ديوان بروين، ط ٣)، بدأت تنظم الشعر مبكرا، ولم يرتق أي شاعر الى مقامها الادبي. يتضمن شعرها القصائد، المثنوي والقطع، ذات المضامين الاصلاحية والتعليمية، والاخلاقية، والاجتماعية، والواقعية، من اهم اشعارها الطفل اليتيم، مصيبتنا ظلم الاغنياء، الكادح، سفر الدموع، كعبة القلب، جوهر الدموع، الجوهر والحجر، لطف الحق ونغمة الصبح، كل هذا يمثل نهضة (بروين) على الواقع الاجتماعي وطلب اصلاحه. [٢]

خلاصة عن حياة نازك الملائكة

ولدت نازك يوم الثالث والعشرين من شهر اب لسنة ١٩٢٣م، وهي امرأة من عائلة معروفة وكبيرة في العراق، عائلة تعير اهمية كبرى للعلم والادب، جد نازك لأمها الحاج محمد حسن كبه، شاعر من القرن العشرين في العراق وواحد من الفقهاء المعروفين انذاك، وكان والدها مدرساً للغة العربية، وعلى يده تخرج عدد كبير من الادباء، ان هذه الأسرة تحترم المرأة وتعطيها مكانتها وكانت تدعو ايضا الى احداث نهضة علمية في المجتمع، قرأت نازك لكثير من الكتاب والشعراء مثل موباسان، موليروشكسبير، اعطت جل اهتمامها للمواضيع الاجتماعية والاخلاقية وخاصة المرأة وحريتها تخرجت في دار المعلمين العالية بليسانس عام ١٩٤٤، فاجعتها الكبرى وفاة أمها في سنة ١٩٥٣م [٣]، اكملت دراسة النقد الادبي في الولايات المتحدة الامريكية، وهناك كتبت موضوعات ذات مغزى ومنفعة كبرى منها عن المرأة الامريكية، عينت سنة ١٩٥٧ مدرسة في كلية التربية، جامعة بغداد، تزوجت من دكتور عبد الهادي محبوبه سنة ١٩٦٢ م، سافرت الى البصرة عام ١٩٦٣ بمعية زوجها مساعد رئيس جامعة البصرة.

وبعد مدة اصبحت رئيسة قسم اللغة العربية لكلية الاداب، غادرت الى القاهرة سنة ١٩٦٥، واستقرت سنوات في الكويت [٤]، ومن ثم في مصر، حتى وافاها الاجل في عام ٢٠٠٧.

معاناة وحزن بروين :

لقد عانت بروين كثيرا وخاصة من المفاسد الاجتماعية، ومن حالات الفقر وضنك الحياة والزمان، كما انها عانت من الفشل المبكر لزواجها من ابن عمها، فقدت بروين والدتها وهي طفلة صغيرة وأحست بمرارة ولوعة وفقدان حنان الأم وكان لذلك الألم البالغ على نفسها وهنا تلقي عددا من ابيات الشعر مبينة من خلالها لوعة فقدان الام قالت :

جيزهـــا ديـــده ونخواســـته ام — دل مـن هـم دل اسـت اهـن نيسـت
روى مـــادر نديـــده ام هركـــز — جشـم طفـل يتـيم روشـن نيسـت
دامـن مـادران خـوش اسـت جـه شـد — كـه سـر مـن بـه هـيج دامـن نيسـت

١- آزند، يعقوب :الادب المعاصر في ايران، ص ١١٧ .(مترجم)
٢- ايضا : الصفحات نفسها
٣- السامرائي، ماجد احمد : نازك الملائكة، الموجة القلقة، ص٩- ١٣
٤- عز الدين، يوسف : شعراء العراق في القرن العشرين، ص٢٩٦

خواندم ازشوق هركة رامادر كفت بامن كه مادر من نيست
كودكى كفت مسكن تو كجاست كفتم انجا كه هيج مسكن نيست [٥]

الترجمة :

لم اهوى ولم ارَ مارأيته فقلبي هو قلب وليس من حديد
اذ لم ارَ وجه امي مطلقاً فعين الطفل اليتيم لم تكن مشرقة
فحضن الامهات جميل ماالذي جرى فأن رأسي لم يحتضن حجر ألأُم
اطلقتُ الحب لكل أم حيث لاأم لي كما اقول
قال طفل اين تسكنين؟ قلت هنالك حيث لا مأوى لي

شعر واثار نازك:

بدأت نازك منذ نعومة أظافرها بكتابة الشعر وفق القديم أو المعاصر، وكانت يوماً بعد يوم ترتقي الى درجة أعلى في هذا الجانب الى أن وضعت يدها على قالب الشعر الفصيح والموزون، بدأت تجربتها بذلك عام ١٩٤١، واصدرت ديوانها (عاشقة الليل) عام ١٩٤٧، ومن هذا التأريخ كسبت شهرة كبيرة بين ابناءشعبها العربي [٦] صدرت لها المجموعة الثانية عام ١٩٤٩، وهي: شظايا ورماد، وقرار الموجة عام ١٩٥٧ في بيروت، وشجرةالقمرعام ١٩٦٨، ومأساة الحياة واغنية للانسان عام ١٩٧٠. [٧]

معاناة وحزن نازك :

هنالك علاقة بين نازك واحد الشخصيات الاوربية المشهورة هو (كيتس) ومما لاشك فيه أن لنازك معرفة كافية بالأدب الانكليزي، كما أن لنازك ارتباطاً بالرومانسية والحزن، ومن هنا يمكن القول بأنها وقعت تحت تأثير افكار (اليوت) الانكليزي، واشعار نازك نابعة من اعماق عواطفها واحاسيسها[٨]، عاشت نازك في مجتمع مملوء بالعادات والتقاليد الاجتماعية القديمة، ناهيك عن الجهل والامية والنظر الى المرأة نظرة سطحية، نازك لها عقدة من كل ذلك،هي ثائرة على الواقع المرير، ومن هنا وصل بها الحال الى الحزن واليأس. [٩]

بروين و(مأساتنا ظلم الأغنياء)

استطاعت بروين بأسلوب جديد ان تجسد وتوضح لابناء المجتمع الوضع المأساوي الحاصل بسبب عدم العدالة وظلم الأغنياء للفقراء وهي تذكر بذلك الفلاح الذي اوصى ابنه الشاب عند وفاته بأن يستمر في عمله وان يأكل من عرق جبينه، ولكن الأبن لم يقبل الوصية ان لم يكن هناك انتقام وقصاص من الأثرياء.

جاء على لسانها :

كفت جنين كاى بدر نيك راى صاعقة ما ستم اغنياست

٥- آزند :المصدر نفسه، ص١٧٧- ١٧٨
٦- ديوان عاشقة الليل :الجزءالثاني، مقدمة الديوان
٧- السامرائي :المصدر نفسه، ص١٧
٨- ايضاً :ص١٩
٩- ايضاً :ص٥- ٢٢ .

بيشه آنان همة آرام وخواب — قسمت مادرد وغم وابتلاست
دولت وآسايش واقبال وجاه — كه حق انها ست حق ما كجاست[10]

الترجمة :

قال هكذاياسديد الرأي يأأبي — فان مأساتنا هو ظلم الاغنياء
صنعتهم وهمهم التام الراحة والمنام — ونصيبنا هو الحزن والالم والابتلاء
حقهم السعادة والراحة والمقام — فاين حقنا اذن منهم

وكانت بروين شريكا للكادحين والمظلومين، ومن خلال شعرها عبرت تعبيراً دقيقاً عن تلك المعاناة[11] قالت :

تابه كى كندن اندر آفتاب اى رنجبر — ريختن ازبهرنان ازجهره آب اى رنجبر
زين همه خوارى كه بينى زآفتاب وخاك وباد — جيست مزدست جز نكوهش ياعتاب اى رنجبر

الترجمة :

الى متى تبقى الروح، ايها الكادح تحت حر الشمس، من اجل لقمة العيش، يراق العرق من الجبين وكل هذا الذي نراه من حر وتراب وريح، لا يعني شيئاً بالنسبة للأجرولم يقابله سوى التانيب وقساوةالكلا م الجارح، ايها الكادح المسكين.

وقد عالجت بفكرها واسلوبها(ألم الفقر) هذه القضية التي ألمت وأرهقت واتعبت الغالبية من الشعب[12]

قالت :

بادوك خويش بير زنى كفت وقت كار — كلوخ زبنبه ريشتنم موى بشد سفيد
از بس كه برتوخم شدم وجشم دوختم — كم نوركشت ديده ام وقامتم خميد

الترجمة :

قالت أمرأة عجوز لمغزلها، الوقت للعمل كله، وأنا أغزل خيط القطن الى ان ابيض شعر رأسي منحنية عليك وعيني مشدودة لك، ضعف نورها واحدودب الظهر.

بروين والمرأة:

ادركت بروين على نحو متميز اكثر من غيرها الواقع المريرلزمانها، وعلى هذا الأساس فضحت سياسة أولئك الحكام وعلى رأسهم شاهنشاه ايران، ومن هنا دافعت عن لقمة الكادحين وعن حقوق وحرية (المرأة) ووفق مبدئها، المرأة والرجل سواسية في الحقوق والواجبات.

قال الشاعر :

زن بود در خانه شورا باهمه مردان برابر — دختر ايران از اين نعمت خبر دارد، ندارد.[13]

الترجمة :

١٠- آزند : المصدر نفسه، ص١٧٨
١١- ديوان بروين : ص٨٣، ٨٢.
١٢- ايضاً ،ص٨١- ٨٢
١٣- محمد زاده، حسين : قضايا الادب المعاصر في ايران، ص٧٠

كانت المرأة في الامر والرأي مساوية للرجل، ولا اعلم هل للمرأة او البنت الايرانية علم بتلك النعمة ام لا؟

وقالت بروين :

وظيفه زن ومرد اى حكيم دانى جيست — يكى است كشتى وآن ديكريست كشتى بان
هميشة دختر امروز مادر فرداست — ومادرست ميسر بزركى بسران. (١٤)

الترجمة :

أيها الحكيم العالم ماهي وظيفة وعمل المرأة؟ — احدهما السفينة وآلاخر ربانها
دائما بنت اليوم أم للغد — ولها دور واضح في تنشأة الاولاد

وصورت بروين حالة وشكوى تلك المرأة التي أفنت شبابها ولم تحصل على شيء سوى الألم والحسرة خلال حياتها.

قالت :

درباغ دهر بهر تماش غنجه اى — برباى من بهر قدمي خارها خليد
سيلابهاى حادثه بسيار ديده أم — سيل سرشك زن ان سبب ديده أم دويد (١٥)

الترجمة :

اينما تخطو ففي بستان الفلك غصن او برعم — وفي راحتي قدمي، دخل شوك عنيد
رايت الكثير من نوائب الدهر — وكثرة البكاء والدموع حالت بيني وبين بصري

بروين والامل : (بروين واميد)

أرادت بروين ان تواصل حياتها وفق تلك الأمنيات، ولكن ومما يؤسف له بأنها وبسرعة فقدت تلك الامال والامنيات، واصبحت يائسة بعد ان حرمت من حنان الوالدين فضلا عن اخفاقها بزواجها، ومن هنا اصبحت الحياة عندها ملاً وضجراً لا خلاص منه، وانعكس ذلك كله على مسحة وطبيعة شعرها (١٦)

الخلاصة :

يمكن القول بأن اشعار بروين ماهي الاخلاصة من ذلك البركان الذي يكمن داخلها، اشعارها تدور عن امنيات واهداف انسانية واجتماعية، مغزاها الاصلاح والرقي بالمجتمع.

قالت :

اى دل عبث مخور غم دنيا را — فكرت مكن نيامده فردا را
بشكاف خاك را وببين آنكه — بى مهرى زمانه رسوا را

الترجمة :

ايها القلب لاتهتم بأحزان الدنيا — ولاتفكر بالزمن الآت
شق التراب ترى ما ترى — فالدهر غدار وبلاء للعباد

١٤- آزنده : المصدر نفسه، ص١٨٠
١٥- ديوان بروين : ص٨١، ٨٢ .
١٦- شفق، رضا زانده : تاريخ الادب في ايران، ص ٦٣٦

ولها شعر عن ألم الحياة.

ظلـم اسـت دريكـي قفـص افكنـدن مـردار خـوار ومـرغ شـكر خـارا[١٧]

الترجمة :

من الظلم ان يوضع في قفص واحد، النسر والبلبل.

يأس واخفاق نازك :

فقدت نازك أمل الزواج في أيامٍ شبابها، وقداشارت الى ذلك من خلال شعرها (القطار) الخاص بفارس احلامها وضمنت ذلك وصفاً عالياً، وتمنت عودة فارس احلامها ثانية.

قالت :

وبقيـت وحـدي اسـأل الليـل الشـرود
عـــن شـــاعري ومتـــى يعـــود ؟
ومتـــى يجيـــىء بـــه القطـــار[١٨]

وعلى هذا الاساس تلاشى أملها وسيطرت عليها الحياة، وتتضمن اشعارها الرمزية، و روح اليأس، منها : الليل، الاسطورة، وغيرها، داهمت الافكار المريرة نازك، واخيرا فقدت الامل بالمستقبل.

واقتنعت نازك بأن بين امالها وحقيقة الواقع هوة كبيرة فآثرت ان تظل تبكي و تنحب فأصبحت خنساء هذا العصر[١٩]، والمعروف بأن نازك من عائلة ارستوقرطية لم تر الفقر ولكنها كانت شريكة لآلام المجتمع، وحسب وجهة نظرها فالمجتمع عبارة عن مفسدة لامساواة فيه.[٢٠]

نازك وقضية المرأة :

من الأمور التي لفتت انتباه نازك هي قضية المرأة، المرأة المحرومة من كافة الحقوق، صورت نازك ذلك من خلال شعرها أحسن تصوير ودعت للثورة على الواقع المرير، وانتشالها مما هي عليه، وهنا تطرح لنا مأساة ومعاناة تلك الفتاة البائسة التي افترشت ممر الشارع واتخذت منه مقراً في ليالي الشتاء القارصة.

قالت :

احـدى عشـرة كانـت حزنـا لاينطفـىء
والطفلـة جـوع ازلـي تعـب ظمـأ
ولمـن تشـكو؟ لااحـد ينصـت او يعنـى
البشـرية لفـظ لايسـكنه معنـى
والنـاس قنـاع مصـطنع اللـون كـذوب
خلف وداعته اختبأ الحقد المشوب[٢١]

١٧- ايضاً: ص٣٣٦- ٣٣٧
١٨- شظايا ورماد : (مر القطار)، ص٦٣
١٩- السامرائي: المصدر نفسه، ص٣٧
٢٠- عاشقة الليل : ص١٢٩
٢١- السامرائي : المصدر نفسه، ص٤٢

الخلاصة

من الواضح ان عدداً من الشعراء يخافون الموت والمصير المجهول بسبب تعاقب الحروب المدمرة، وعلى هذا الاساس يفرون الى عالم آخر، ربما يعثرون على عالم افضل للراحة والهدوء، لذا يمكن القول وعلى ضوء الدراسة المقدمة :

١- ان كلتا الشاعرتين عاشتا في نفس العصر، وشاهدتا بعض احداث ومآسي القرن العشرين.
٢- كلاهما من عائلتين مشهورتين وكان لكل الابوين دور مؤثر في تربيتهما
٣- كلاهما عانتا من امراض المجتمع وسعيتا الى اصلاح ذلك من خلال دعوة الناس للنهوض والثورة على واقع المجتمع المرير.
٤- كلاهما من ذوي الثقافة العالية، دافعتا عن حقوق المرأة وحريتها.
٥- بسبب الظلم وجور الحياة وتقلب الزمان اصيبتا بخيبة أمل ألحياة وأصابهما أيضاً الحزن والألم، ولكن لكليهما الدور الكبير والفعال في صفوف أبناء المجتمع ولا تزال جهودهما ونتاجهما الابداعي موضع تقدير كبير في المجال الادبي والاجتماعي.

المصادر والمراجع

أ-فارسي :

١- آرين يور، يحيى : از صبا تانيما، ج دوم، ج٥، تهران ١٣٥٧.
٢- زند، يعقوب : ادبيات نوين ايران انتشارات اميركبير، تهران ١٣٦٣.
٣- استعلامى، محمد: بررسى ادبيات امروز ايران، ج٥، تهران، ٢٥٣٦ ش.
٤- ديوان بروين اعتصامي: ط٥، تهران١٩٧٧، وط٣، سنة ١٣٨٦.
٥- زرين كوب، حميد : جشم انداز شعر نو، تهران ١٣٥٧.
٦- سيد حسيني، رضا : مكتبهاى ادبى، بخش يك، ج٤، ١٣٤٧.
٧- صديق، حسين محمد زاده اى : مسايل ادبيات نوين، تهران ١٣٥٤.
٨- هدايت، صادق: زنده بكور، تهران ٢٥٣٦.
٩- شفق، رضا زاده : تاريخ ادبيات ايران، ج٢، ١٣٥٢.

ب عربي :

١- اسماعيل، عز الدين : الشعر العربي المعاصر، القاهرة ١٩٦٧
٢- السامرائي، ماجد احمد : نازك الملائكة (الموجة القلقة) بغداد ١٩٧٥.
٣- بلاطه، عيسى : بدر شاكر السياب (حياته وشعره) بغداد ١٩٨٧.
٤- يوسف، عز الدين : شعراء العراق في القرن العشرين، بغداد١٩٦٩.
٥- ديوان نازك الملائكة، عاشقة الليل، بيروت ١٩٦٠.
وشظايا ورماد، بغداد ١٩٥٨.